بسم الله الرحمن الرحيم

{مادة فقه السيرة}

الدرس التاسع

س/ ما حكم مَن لم يعتقد براءة أم المؤمنين عائشة -رضى الله عنها- مما نسب إليها فى حادثة الإفك؟

ج/ من لم يعتقد براءتها فقد كفر، وإن زعم الإسلام لأنه كذَّب الله -عز وجل.

س/ ماذا فعل النبى -عليه الصلاة والسلام- مع يهود المدينة؟

ج/ دخل النبي -عليه الصلاة والسلام- المدينة وفيها ثلاث طوائف من اليهود "بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة".

أما بنو النضير وبنو قينقاع فقد أجلاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وكانوا بعد غزوة بدر استاؤوا جدًّا من انتصار المسلمين في بدر، وحزنوا لذلك النصر حزنًا شديدًا، فهمُّوا بما لم ينالوا، همُّوا بحرب رسول الله والمسلمين ليُنسوهم فرحتهم بيوم بدر، فجعل الله كيدهم في نحورهم، ومكَّن رسوله منهم فأجلاهم عن المدينة فخرجوا منها إلى خيبر، وبقي بنو قريظة في المدينة.

س/ ما سبب غزوة الخندق (الأحزاب)، وما هى أحداثها؟

ج/ لما كان يوم أحد وأصاب المسلمين ما أصابهم فرحت اليهود بهذا المصاب، وطمعوا في استئصال المسلمين، فخرج حيي بن أخطب، وأبو رافع بن أبي الحقيق في نفر من اليهود إلى قريش، فدعوهم إلى حرب محمد والمسلمين، فأجابهم أبو سفيان لذلك، فتركوه وانطلقوا إلى القبائل المجاورة، فأتوها قبيلة قبيلة، ودعوهم إلى ما دعوا قريشًا إليه، وأخبروهم أن أبا سفيان موافق على هذه الحرب، فوافقت القبائل على ما دعوهم إليه، وتواعدوا على الخروج إلى المدينة، واجتمع منهم نحو (١٠٠٠٠) عشرة آلاف مقاتل.

فلما بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- خروج أولئك الأحزاب؛ جمع أصحابه واستشارهم كعادته -عليه الصلاة والسلام- فأشير عليه بحفر الخندق، وقيل أن الذي أشار بذلك سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، فعمِلَ -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه في حفر الخندق بنفسه، كان يحفر بيده، ويحمل التراب بيده -عليه الصلاة والسلام- وجعل يغدو ويروح ويقول وهو معهم في العمل:

والله لولا الله ما اهتدينا ** ولا صمنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ** وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا ** وإن أرادوا فتنة أبينا
ثم يقول: أبينا أبينا، يمد بها صوته.

وأخذ المنافقون يستللون لواذًا ويرجعون إلى المدينة، وأخذ بعضهم يتظاهر بالاستئذان كذبًا وافتراءً {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا} [الأحزاب: ١٣].

أما المؤمنون الصادقون فقد ثبتوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجدُّوا في حفر الخندق حتى انتهوا منه في أيام قليلة، وجاء المشركون من القبائل المختلفة ووجدوا الخندق، وكانت مكيدة حربية لا تعرفها العرب، فوقفوا أمام هذا الخندق حيارى كيف يتصرفون، فأخذت الحميَّة الجاهليَّة ثلاثة منهم، فأخذوا يدورون حول الخندق يبحثون عن مكان ضيِّق يستطيعون الاقتحام منه، فرأوا مكانًا ضيِّقًا في الخندق فاقتحموا بخيلهم، ثم تقدَّم أشقاهم ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه عليٌّ -رضي الله عنه- فتجاولا وتصاولا، فضربه عليٌّ فقتله، فلاذ الباقون بالفرار وولوا الأدبار.

فثارت ثائرة حييِّ بن أخطب النضري الذي كان قد دعا قريشًا والقبائل العربية لهذه الحرب، وأخذ يفكر في حيلة ماكرة أخرى، فأتى يهود بني قريظة -الفرقة الثالثة الباقية في المدينة- فأتى كبيرهم وصاحب عقدهم وعهدهم كعبًا القرظيّ، وكانوا في الحصن، فنادى: يا كعب افتح لي. فأغلق دونه الأبواب. يا كعب افتح لي.

قال: ويحك يا حيي، إنك رجل مشؤوم، وقد أعطيت محمدًا عهدًا وميثاقًا ولم أرَ منه إلا وفاءً وصدقًا، فما أنا بناقضٍ عهده.

فما زال حيي بن كعب يغريه حتى فتح له. فدخل عليه فأخذ يبيِّن له الجيوش الجرارة التي جاءت من قريش ومن القبائل العربية حتى أقنعه أن النصر محسوم للألوف المؤلفة التي جاءت، وأن المسلمين سينتهون في هذا اليوم، فما زال به حتى وافق على أن ينقض عهده مع النبي -عليه الصلاة والسلام- ويحاربه مع تلك الأحزاب التي جاءت.

وفي استجابة كعب القرظي إلى حيي بن أخطب ونقض عهده مع رسول الله مع اعترافه بأنه لم يرَ من رسول الله إلا وفاءً وصدقًا دليلٌ على أن اليهود أهل غدر وخيانة، إذا كانت بينهم وبين المسلمين معاهدات سلام يلتزمون بها ما داموا يرون أن في الالتزام مصلحتهم، فإذا رأوا أن في الغدر ونقض العهد مصلحتهم نقضوا عهدم وغدروا.

بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- أن بني قريظة نقضوا عهدهم، فأرسل من أصحابه مَن يتأكد من ذلك، فجاء الخبر أن فعلًا بني قريظة قد نقضوا عهدهم وميثاقهم.

وفي ذلك يقول الله -عز وجل: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب: ١٠].

فأتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا رسول ما نقول؟ «قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا». فقالوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا.

ودعا النبي -صلى الله عليه وسلم- على الأحزاب فقال: «اللهم منزِّل الكتاب، وسريع الحساب، وهازم الأحزاب؛ اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم»، فاستجاب الله لرسوله -صلى الله عليه وسلم-، فأرسل على الأحزاب ريحًا وجنودًا لم يروها، وأطفئت نارهم وقُلعَت خيامهم، فرأوا أن ينجوا بنفسهم وأن يرجعوا إلى بيوتهم.

وفي ذلك يقول الله تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: ٢٥].

فلما رجعت الأحزاب تجر أذيال الخيبة والخسران لم ينالوا شيئًا مما أرادوه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»، نحن نسير إليهم، وكان هذا عَلَمًا من أعلام النبوة، ففعلًا بعد غزوة الخندق قريش لم تأتِ المدينة لحرب، وإنما النبي هو الذي سار إليهم كما قال: «الآن نغزوهم ولا يغزونا».

فلما ردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ورجعوا إلى مكة وإلى حيث جاؤوا من القبائل المجاورة دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، ورجعت بنو قريظة إلى حصونهم، ودخل حيي بن أخطب مع كعب القرظي حصنه وفاءً له بالعهد، لأنه قلا له: لك عليّ إن لم يكن ما نريد أن أرجع معك حتى يصيبني ما أصابك.

فرجع بنو قريظة ودخلوا حصونهم، ورجع حيي بن أخطب النضري ودخل مع كعب حصنه، ورجع النبي -صلى الله عليه وسلم- ودخل المدينة، فبينما هو -عليه الصلاة والسلام- يغسل التراب عن جسده -لأنه كان يحفر بيده ويحمل التراب بيده- إذ جاءه جبريل -عليه السلام فقال: "أوضعت السلاح يا رسول الله؟".

قال: «نعم». قال: "والله ما وضعناه، اخرج إليهم". نحن الملائكة كنا معكم في الأحزاب ولم نضع أسلحتنا بعد، اخرج إليهم، قال: «إلى أين؟».

قال: "ها هنا"، وأشار بيده إلى بني قريظة.

فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليَّ بن أبي طالب فأعطاه الراية فانطلق بها إلى بني قريظة، ثم لبس النبي -صلى الله عليه وسلم- سلاحه ونادى في المسلمين: «لا يصلينَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة»، فطار المسلمون زُرُفات ووحدانًا، وهم على يقين من النصر المؤزر الذي ينتظرهم تحقيقًا لوعد الله -عز وجل-، ولا سيما أن جبريل قد سبقهم إلى بني قريظة.

فحاصر المسلمون بني قريظة في حصونهم، وطال الحصار، وأخذ يفكرون ماذا يصنعون.

وبينما هم محاصرون صعدت امرأة منه على سطح وأخذت رحى كبيرة ورمتها من فوق السطح على رجل من الأنصار فقتلته.

وحاولت قريظة أن يأخذوا من رسول الله عفوًا مطلقًا أو مقيَّدًا، ولكن هيهات هيهات أن ينالوا.

فلما طال الحصار قذف الله في قلوبهم الرعب، فطلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ينزلوا على حكمه بدون شروط، فلما وافق -عليه الصلاة والسلام- قام حلفاؤهم -وكانوا الأوس، كانت بنو قريظة حليفة للأوس- فقاموا إلى رسول الله يسألونه أن يهبهم لهم وأن يعفو عنهم، كما استوهبت من قبل الخزرج يهود بنى قينقاع. فقال -عليه الصلاة والسلام: «أيرضيكم أن يحكم فيكم واحد منكم ؟» منكم أي من الأوس، ويحكم في بني قريظة؟

قالوا: نعم. فجعل حكمهم إلى كبيرهم سعد بن معاذ -رضي الله عنه- فجيئ به -رضي الله عنه- فالتفَّ به أهله وإخوانه يسترحمونه ويستعطفونه، إخواننا وحلفاؤنا -حتى يخفف فيهم الحكم- ولكنه -رضي الله عنه- لم تأخذه في الله لومة لائم، وقال: "أرى أن تقتل مقاتلتهم، وتُسبَى ذراريهم، وتقسم أموالهم".

فقال -عليه الصلاة والسلام: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك»، هذا حكم الله -عز وجل.

فسبى النساء والذراري، وقتل المقاتلة من الرجل، ولم تقتل من نساء بني قريظة امرأة إلا تلك المرأة التي كانت قد صعدت السطح وألقت الرحى فقتلت رجلًا من الأنصار -رضي الله عنه-، ولم يقتل من الصبيان صبي واحد.

وفي بني قريظة أنزل الله تعالى قوله: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب ٢٦، ٢٧].

فلما قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجالهم أخذ يقسم أموالهم ونساءهم بعد أن أخرج منه الخمس، واصطفى -صلى الله عليه وسلم- لنفسه من نسائهم ريحانه، فعرض عليها الإسلام فأبت، ثم أسلمت بعد ذلك، فسُرَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لإسلامها، وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت الرقَّ على العتق، فلم تزل عنده -صلى الله عليه وسلم- حتى توفي عنها.

س/ ماذا تعرف عن صلح الحديبية؟

ج/ كان صلح الحديبية في السنة (٦) السادسة من الهجرة، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو بالمدينة رأى رؤيا في المنام أنه داخل مكة وطائف بالبيت، ورؤيا الأنبياء وحي من الله، ففسَّر النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الرؤيا على أنها إذن من الله -عز وجل- بدخول مكة، فأذن مؤذنه في الناس بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- معتمر، فأجابه إلى العمرة ألف وأربعمئة (١٤٠٠) من المؤمنين الصادقين، وأما المنافقون فقد ظنوا بالله ظن السوء، ظنوا أن محمدًا وأصحابه إن دنوا من مكة فإن العرب سيستأصلونهم ويبيدونهم فلا يرجع واحد منهم البتة.

وخرج -عليه الصلاة والسلام- في صحبه الكرام من المدينة في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، فلما كانوا بذى الحليفة -وهي ميقات أهل المدينة للإحرام- قلَّد النبي -صلى الله عليه وسلم- البُدْنَ وأشعرها، ثم أحرم بالعمرة، لا يشك أحد من أصحابه أبدًا أنهم قادمون مكة وطائفون بالبيت العتيق من أجل الرؤيا التي أخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه رآها.

فلما كانوا بعسفان قريبًا ن مكة بلغ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- أن قريشًا قد جمَّعوا الجموع، وخرجوا بالأحباش يريدون أن يقاتلوه ويصدوه عن البيت، فاستشار -عليه الصلاة والسلام- أصحابه.

فقال لهم: «إن رأيتم أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم -يعني الصبيان والنساء- فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين[١] محروبين[٢]، وإن يجيئوا تكن عنقًا قطعها الله؟ أم ترون أن نؤمَّ البيت فمن صدَّنا عنه قاتلناه؟».

فقال أبو بكر -رضي الله عنه: "الله ورسوله أعلم أننا لم نجئ لقتال، وإنما جئنا معتمرين، يا رسول الله اقصد البيت، فمن صدَّنا عنه قاتلناه".

---

(١) بالفوقية: اسم مفعول، جمع موتور، وهو الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. (المصدر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد)

(٢) بحاء مهملة، فراء فواو فموحدة: مسلوبين منهوبين، يقال حربه إذا أخذ ماله وتركه بلا شئ. (المصدر السابق)

فقال -عليه الصلاة والسلام: «فروحوا إذن». فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «إن خالد بن الوليد في مكان كذا وكذا مع خيل من العرب، فخذوا ذات اليمين» -أي اهربوا منه-، فانحازوا ذات اليمين، فلم يشعر بهم خالد حتى رأى الغبار صاعدًا فانطلق.

وسار النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى إذا كان بالثَّنيَّة التي يهبط منها عليهم بركت الراحلة، فقال الصحابة: خلأت[٣] القصواء، خلأت القصواء.

فقال -عليه الصلاة والسلام: «ما خلأت وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»[٤]، قال: «والله لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجر الناقة فوثبت به، وعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على بئر قليل الماء، ثم بعث النبي -عليه الصلاة والسلام- عثمان -رضي الله عنه- يتكلم مع قريش، فلما دخل عثمان مكة تأخر فظنوا أنه قد قتل، فدعا رسول -صلى الله عليه وسلم- أصحابه إلى البيعة على الجهاد والقتال، فبايعوه تحت الشجرة بيعة الرضوان على ألا يفروا، فأخذ -صلى الله عليه وسلم- بيد نفسه وقال: «هذه يد عثمان».

ثم جاء عثمان بعد أن تمَّت البيعة، وأخذت قريش تبعث من رجالها رجلًا رجلًا حتى يفاوض الرسول -عليه الصلاة والسلام- ويتفاهم معه على الصلح.

وفي النهاية جاء رجل يقال له سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: «قد سُهِّل لكم من أمركم»، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكره الطيرة[٥] ويحب الفأل الحسن، فأخذ سهيل يفاوض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودعوا بالكتاب حتى يكتبوا بنود المعاهدة وشروط الصلح، وتمَّت المعاهدة على كراهية من المسلمين لأنهم كانوا يرون أن فيها شروط جائرة.

فجرت المصالحة على وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين، وأن مَن شاء أن يدخل في عهد محمد دخل، ومن شاء أن يدخل في قريش دخل، وأن مَن جاء من محمد إلى قريش لا يردُّه، وأن مَن جاء من قريش إلى محمد ردَّه إليهم، -وهذا ما كان يرضي الصحابة-، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض، وأنه لا خيانة ولا غدر.

وتمَّت المصالحة وكُتبت، فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن ينحروا هديهم، ويحلقوا رؤوسهم ويتحللوا من عمرتهم[٦]، ثم رجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة.

وكان صلح الحديبية فتحًا مبينًا كما سمَّاه الله تعالى

---

(٣) **خلأت** الناقةُ إذا بَرَكَت فلم تَبْرَح مكانَها. ويقال للجمل: ألحّ، وللفرس : حرَن . النهاية لابن الأثير (٢/١٣٦) . (منقول من كتاب: أحوال النبي صلى الله عليه وسلم. د. مهران ماهر عثمان نوري)

(٤) فلما بركت الناقة، كلما أقاموها تأبى أن تمشي، أدرك الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن هذا أمر من الله، وأن الخير أنه إذا دعوه إلى الصلح يجيبهم مهما كانت الشروط.

(٥) التشاؤم.

(٦) قال الله تعالى: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} [البقرة: ١٩٦]، المحرم لما يقصد مكّة للعمرة أو الحج وقد ساق هديه ثم يُصدّ عن دخول مكة لأداء نسكه فعليه أن ينحر هديه في المكان الذي حُصِرَ فيه ويحلق رأسه ويتحلل، ولا شيء عليه.

- عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلًا، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك؟!

قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون قد نزل فيَّ قرآن، وجئت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسلمت عليه فقال: «لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحبُّ إلي ما طلعت عليه الشمس ثم قرأ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح ١، ٢] ».

س/ أعداء الإسلام كانوا ثلاثة أقسام، من هم؟

ج/ أعداء الإسلام كانوا ثلاثة أقسام، قريش، وأعراب البادية، ويهود خيبر.

س/ متى كانت غزوة خيبر، وما سببها، وما أحداثها؟

ج/ لما صالح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قريشًا صلح الحديبية أمِن بذلك شرَّ أقوى الفرق الثلاث، فلم يرق لليهود هذا الصلح، وأخذوا يُوطِّدُون علاقتهم بأعراب البادية لتكوين جبهة جديدة لمقاومة الإسلام بدلًا من الجبهة التي دخلت في صلح مع الإسلام، فرأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يغزو خيبر ليكسر شوكة يهود، ويُرغم أنوفهم حتى لا يسعوا بعد ذلك في الأرض فسادًا، بذلك يأمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- على المدينة ويتفرغ لنشر الدين وتعليم الإسلام.

فما أن رجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الحديبية في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة حتى خر بعد شهر واحد في المحرم من السنة (٧) السابعة للهجرة إلى خيبر وهو على يقين من النصر والفتح كما وعده الله -تبارك وتعالى- أثناء عودته من صلح الحديبية حيث قال الله تعالى في السورة التي أنزلها أثناء عودة النبي -صلى الله عليه وسلم- من الحديبية، سورة الفتح، قال -عز وجل: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح ١٨، ١٩].

فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الخروج إلى خيبر، ونهى مَن قعد عن الخروج إلى الحديبية من المنافقين عن الخروج معه طاعة لله -عز وجل- حيث قال: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [الفتح: ١٥]، فقعد المنافقون وخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى خيبر ومعه المؤمنون الصادقون.

فأتى خيبر وحاصرهم في حصونهم، وطال الحصار، وتراشق الجيشان بالنبل والحجارة، وقتل من هؤلاء ومن هؤلاء، فلما طال الحصار وتأخر الفتح، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب اللهَ ورسولَه، يحبه اللهُ ورسولُه»، فلما كان الغد دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليًّا فجيء به فأعطاه الراية.

فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونا مثلنا؟
يعني حتى يسلموا، وحتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟
فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بحق الله فيه، فوالله لأن يهدي بك الله رجلً واحدًا خير لك من أن يكن لك حُمْر النعم».
وطال الحصار وفتح الله على يد علي -رضي الله عنه- هذا الحصن، ثم تتابعت الحصون حصنًا بعد حصنٍ، ومكَّن الله تعالى لرسوله -صلى الله عليه وسلم- من يهود بني خيبر.
وعاد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة وقسم المغانم كما أمره الله -تبارك وتعالى-، وأثناء القسمة أدركه مهاجرة الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فضرب لهم بسهم، ولم يُسهم -صلى الله عليه وسلم- لمن غاب عن خيبر إلا لمهاجرة الحبشة، وكان في السبي صفية بنت حيي بن أخطب، فاصطفاها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لنفسه، ثم دعاها للإسلام فأسلمت، فأعتقها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجعل عتقها صداقها وبَنَى بها، وأولم عليها بالتمر والسمن، ولم يكن في وليمتها لحم قط.
ولما دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة دخل فرحًا مسرورًا مستبشرًا بفتح الله -تبارك وتعالى- له حيث حقق له وللمسلمين ما وعدهم، {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح ١٩، ٢٠].

س/ ماذا فعل النبى -صلى الله عليه وسلم- مع أعراب البادية؟

ج / بصلح الحديبية أمِنَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شرَّ قريش، وبفتح خيبر قضى -صلى الله عليه وسلم- على الجناح الثاني من قوى الشر، قوى اليهود.
وبذلك استقرت الأوضاع في المدينة، وأمِنَ -صلى الله عليه وسلم- على المدينة عاصمة الدولة الإسلامية التي أسسها، ولم يبقَ أمامه من أعدائه سوى أعراب البادية المتفرقين في السهول والوديان، وهم مهما بلغت قوتهم فليس منهم خوف، ولذلك لم يغزهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بنفسه، وإنما أخذ يبعث إليهم سراياه سرية بعد سرية يدعونهم إلى الإسلام، فإن أسلموا كان خيرًا لهم، وإن حاربوا قُوتلوا.

س/ لماذا فكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في توسيع دائرة الدعوة، والوصول بها إلى ملوك ورؤساء الدول؟

ج/ فكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في توسيع دائرة الدعوة، والوصول بها إلى ملوك ورؤساء الدول الكبيرة، لأن رسول الله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- رسول العالمين، رسالته ليست قومية ولا عربية، قال الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١]، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، وقال: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، فلما أمِنَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شر قريش بصلح الحديبية وقضى على شر اليهود بغزوة خيبر أخذ يفكر في توسيع الدائرة وتبليغ الدعوة إلى كل الدول، وكانت فارس تحتل أجزاءً كبيرة من جنوب الجزيرة،

وكان الروم يحتلون أجزاءً من شمالها، فأراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يبعث إلى هؤلاء الملوك والرؤساء كتبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام، فكتب إلى كسرى وإلى قيصر، وكتب إلى النجاشي -وليس النجاشي الذي كتب إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- هو النجاشي الذي أسلم-، فلما عزم -صلى الله عليه وسلم- على إرسال الكتب والرسائل إلى الملوك ليدعوهم إلى الإسلام، قيل له: إن العجم لا يقبلون كتابًا إلا مختومًا، فاتخذ -عليه الصلاة والسلام- خاتمًا، ونقشه "محمد رسول الله".

س/ من أول من كتب إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعوه إلى الإسلام؟

ج/ أول من كتب إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعوه إلى الإسلام هرقل عظيم الروم، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رضى الله عنه- أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا ، فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ، قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ : لاَ قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ ، قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا ، قَالَ : قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ : لاَ وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ

خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ(٧) ، وَ{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ. وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ ، وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلاَّ الْيَهُودُ فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ ، عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاَحِ وَالرُّشْدِ ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ.(٨)

س/ ما سبب غزوة مؤتة ؟

ج/ لما بعث -صلى الله عليه وسلم- كتبه إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام كانوا فريقين في الاستقبال:

١- بعضهم أحسن استقبال رسل رسول الله الذين بعثهم بالكتب.

٢ - وبعضهم أساء استقبالهم.

غير أنه لم يُقتل من رسُل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا الحارث بن عُمَير الأزدي، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- بعثه بكتابه إلى ملك الروم، فلما دخل أرضهم اعترضه شرحبيل بن عمرو الغسَّاني أحد أمراء ملك الروم على أرض الشام، فأوثقه رباطًا ثم قدَّمه فضرب عنقه.

---

(٧) أي: الفلاحين.

(٨) رواه البخاري (ح ٧)

فأساء ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين[٩]، فأصر المسلمون على الانتقام والقصاص من هذا الباغي الأثيم، فكانت غزوة مؤتة.
فجهز النبي -صلى الله عليه وسلم- جيشًا لغزو الروم عدَّته (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف مقاتل، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة، وقال -عليه الصلاة والسلام: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب يلي الإمارة بعده، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة».
وكان ذلك في جمادى الأولى من السنة (٨) الثامنة من الهجرة.
وتجهز الجيش وقاده الأمير زيد بن حارثة، فأوصاه النبي -صلى الله عليه وسلم- في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا.
كان هذا دأبه -صلى الله عليه وسلم-، كان إذا بعث بعثًا أمَّر عليه أميرًا ووصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا، وودَّع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك الجيش المتوجه إلى أرض الشام، وتحرك الجيش باسم الله وعلى بركة الله متوكلين على الله قاصدين أرض الشام.
فلما انتهوا إلى معان -وهي مدينة معروفة على الحدود الأردنية الآن- بلغهم أن الروم قد تجهزوا لهم، وجمعوا (٢٠٠٠٠٠) مئتي ألف مقاتل، المسلمين ثلاثة آلاف، فلما انتهوا إلى معان بلغهم أن الروم جمعوا مئتي ألف مقاتل، مئة ألف من الروم، ومئة ألف ثانية من نصارى العرب، فبات الجيش المسلم بمعان ليلتين يتشاورون في الأمر، أي يتقدمون على بركة لله معتصمين واثقين بالله؟ أم يبعثون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَن يخبره الخبر فيرى رأيه، يشير عليه يتقدموا أم يرجعوا؟ فإما أن يمدهم بمدد من عنده، يرسل لهم كتائب أخرى وإما أن يأمرهم بأمره؟
فقام عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- وقال: يا قوم والله إن الذي تهربون منه للذي خرجتم تطلبونه.
أنتم أتيتم تبتغون الشهادة، أن أتيتم ترجون الشهادة، {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران ١٦٩، ١٧٠]، هذا الذي أتيتم لأجله.
قال: والله ما نقاتل القوم بعدة ولا عدد ولا كثرة، والله ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فامضوا يا قوم على بركة الله، فوالله ما هي إلا إحدى الحسنيين إما الظفر والنصر وإما الشهادة.
فلما قال ذلك عبد الله بن رواحة قالوا: صدق ابن رواحة وتشجعوا وتحركوا نحو الروم، حتى إذا كانوا بمؤتة -وهي التي تسمى الآن مدينة الكرك من بلاد الأردن- التقى الجمعان.
قال أبو هريرة -وكانت هذه الغزوة أول غزوة يحضرها أبو هريرة لأنه أسلم بعد صلح الحديبية- قال أبو هريرة: فلما دنا المشركون رأيت ما لا قِبَل لأحد به، رأيت عددًا وعُدَّة

---

(٩) لأن الرسل لا يُقتلون، الرسل ما نسميهم الآن "السفراء، سفراء الدول"، يعني حتى في حالة الحروب يكون فيه تفاوض، الدولتين المتحاربتين السفير هذا يذهب والسفير هذا يأتي، السفير هذا له أمان حتى في حالة الحرب لا يجوز أن يُقتل، لأنه داخل يفاوض فله أمان.

وسلاحًا وخيلًا وديباجًا وحريرًا وذهبا، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أرقم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعًا كثيرة.

قال: إي والله.

قال: إنك لم تشهد معنا بدرًا، إنا لا ننصر بالكثرة.

فالتحم الجيشان، ودخل ثلاثة آلاف في مئتي ألف مقاتل، يحمل الراية الأمير زيد بن حارثة، فقاتل -رضي الله عنه- حتى قُتل، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم- وحملها بيده وهو راكب فرسه، وأخذ يقاتل القوم حتى أرهقه القتال، فنزل عن فرسه فعقرها ورفع الراية بيده والسيف في اليد الأخرى، وأخذ يقاتل القوم حتى قُتل -رضي الله عنه-، فأخذ الراية الأمير الثالث، فرفع الراية ثابت بن أرقم، وقال: يا قوم اصطلحوا على أمير.

قالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل، لست لها.

فبعد قتل الأمراء الثلاثة "زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة"، اصطلح القوم على أن يكون خالد بن الوليد هو الأمير.

وكانت هذه أيضًا أول غزوة يشهدها خالد في صفوف المسلمين، لأنه أسلم أيضًا بعد صلح الحديبية، فأخذ الراية خالد الذي سمَّاه رسول الله "سيف الله المسلول"، فأخذ الراية ففتح الله عليه.